من أوراق الرئيس: (52)

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

4 وزارات أسقطها الملك علي رأس الشعب

عندما احترقت القاهرة ظل الدخان عالقا في سمائها ومبانيها. ثم تلاشي الدخان إلا من بعض السواد علي العمارات والمحلات والنفوس. أما النار التي تحولت إلي نور، فقد اختارت لها يوم 23 يوليو، لتعلن للعالم أن مصر لم تمت.. وأن الشيوخ إذا كانوا قد أرادوا أن يدفنوها معهم، فإن الشباب قد أعطوها حياتهم وحيويتهم ومستقبلهم.. وتوالت في دخان القاهرة وزارات هزلية ليس لها من سند شرعي إلا إرادة الملك. فالملك يلهو بما حوله ومن حوله..
وشباب الثورة يرون ويقرون ويدبرون ويعدلون مواعيد قيامهم ونهوضهم.. ثم تكون الثورة التي لم تسفك الدماء، والتي جعلت الحياة حقا لمصر، ولكل وطني..
وفي الوزارات الأربع التي جاءت بعد حريق القاهرة وحتى قيام الثورة، حاول الوزراء والرؤساء أن يعيشوا بأي ثمن.. ولكنهم لم يفلحوا . فالملك يلعب بهم. والشعب لم يعد قادرا علي الفرجة . وطائرة الملك تنقل الذهب والمجوهرات إلي الخارج . لقد قرر – وكان عاقلا في ذلك – أنها نهاية البداية.. ثم أن النهاية قد انتهت.

وكذلك كان رأي شباب ثورة يوليو.. ولو استعرضنا هؤلاء الشبان لرأينا الرئيس السادات الذي عرف كل أنواع العناء والمشقة لم يغمض عينيه عن الواقع الوطني، ولا الواقع النفسي.. ولكن بالإيمان والسبر والوعي استطاع أن يحقق لنفسه وبلده أعلي مكان..

وهذا هو أحد المعاني التي يحرص الرئيس السادات علي أن يبرزها ويؤكدها للأجيال القادمة.. فلا مستحيل علي من عنده إيمان قوي، وعلم كثير، وصبر طويل..

في حريق القاهرة حاولت حكومة الوفد أن تتخذ موقفا بطوليا. اجتمعت. وأعلنت الأحكام العرفية. وكان هدفها أن تجمع الدخان كله في زجاجة. وأن تضع الزجاجة تحت قدمي الملك فاروق. لتؤكد له أنها همي التي ألغت المعاهدة، وهي التي دفعت الشعب إلي الغضب وانها هي التي أخمدت الغضب ، وبعد ذلك فليتقدم الملك مشكورا بمنحها ما تستحقه من مكافأة " سنية " – وهذه صفة المنح التي يتفضل "لملك مشكورا" بخلعها علي الشعب!

وأقال الملك وزارة الوفد، بدلا من أن تستقيل هي..وسجل عليها التقصير في الخطاب الذي بعث به إلي مصطفي النحاس باشا الذي عينه حاكما عسكريا قبل ذلك بساعات.

وكنا نحن الضباط الأحرار قد اشترينا السلاح من رفح وأعطيناه للفدائيين ليقاتلوا به الأنجليز. ولكن موقف الوفد والحكومات المتوالية كان مخزيا حقا. بل إن للوفد أخطاء كثيرة ليس أقلها أن يصدر وزير داخلية الوفد في ذلك الوقت أمرا إلي رجال البوليس أن يقفوا في وجه الانجليز أو يقفوا الانجليز . وكانت نكته مبكية حقا: رجال البوليس يستخدمون البنادق الرش، أي بنادق الخفراء في الريف، يواجهون بها مدافع الانجليز 25 رطلا، وهي أحسن المدافع في ذلك الوقت، وكانت مذبحة لرجال البوليس!

وبسقوط وزارة الوفد التي بقيت في الحكم سنتين، تدخل مصر في مهزلة متجددة. ففي حوالي 200 يوم تتفرج مصر علي أربع وزارات. لا يعرف أحد كيف جاءت ولا كيف راحت.. وإنما باشوات تظهر وتختفي.. وكأننا في مسرح العرائس أناس يظهرون، ولأسباب غير معروفة يختفون. ولكن لا يغيب عن عيون السياسيين والمؤرخين أن الأصابع التي تحرك هذه العرائس كانت الملك وحده..

إن الملك يتسلي – كما يقول التعبير الفرنسي المشهور. ولو كان الملك يتسلي بالباشوات في جلساته الخاصة كما كان يفعل. لهان الأمر. ولأصبحت التغيرات الوزارية لهوا وعبثا ملكيا. ولكن الملك كان يتسلي بالوزراء وبالشعب وكرامة المواطنين، دون أن يسأله أحد ماذا يفعل ؟ بل إن الكثير من الزعماء كان ينتظر دوره. فإذا جاء " حكمة ملكية سامية ".. وإذا لم يأت دوره ، فهو علي استعداد لأن يفعل أي شئ ، حتي يجئ.

وكان الملك يعرف ذلك.. يعرف أنه أمام باشوات يتهالكون علي الحكم بأي ثمن! وكنت أري أن الفساد الذي استشري في مصر لا يحتاج إلي ثورة واحدة . وإنما يحتاج إلي ثورات.. فالفساد قد تسلل إلي عظام مصر وإلي نخاعها..

وكنا نحن الضباط الأحرار قد تقاربنا والتقت وجهات نظرنا. وكنا قد حددنا موعد قيام الثورة نوفمبر 1955، أي أن أمامنا ثلاث سنوات لابد أن يشتد فيها عودنا، وتترابط خيوط ويقوي نسيجا. وكل شئ حولنا يؤكد أن الذي اعتزمناه لا مفر منه. ونحن علي يقين من ذلك.. فلا الملك يصلح ولا الأحزاب تصلح.. سواء كان الجالس علي العرش فاروق الأول أو فؤاد الثاني، فقد انتهي كل شئ. ولابد أن ينتهي. وقد وجدنا ألف سبب معقول للثورة علي كل أشكال الفساد الدستوري، والفساد في غياب الدستور. ولم تعد "التعبيرات" التي يستخدمها زعماء الأقلية وزعماء الأغلبية، تختلف عن بعضها البعض ففي النهاية نجد أن الجميع عند قدمي الفاروق سواء..!

وبدأت لعبة الوزارات بلا جذور".. أي الوزارات التي يلقيها الملك من فوق، وليست الوزارات التي يلقيها الملك من فوق، وليست الوزارات التي يرفعها الشعب من تحت.. وزارات العرش وليست وزارات الشعب.

وما دامت الملك هو الذي يختار، فكل شئ مرهون برضائه، أولا وأخيرا.
وما دامت القاعدة في اختيار الوزراء "الرغبة السامية" أو "الإرادة السنية" أو "التوجيهات الملكية" فالأساس هو المزاج الشخصي. وكما أن للملك مزاجا فلرئيس الوزراء مزاج أيضا. فالملك اختار رئيس الوزارة، ورئيس الوزراء اختار الوزارة.. ولابد أنه قد "استمزج" كما يقول إخواننا العرب – أي حاول أن يعرف مزاج الملك. واستجاب له.
وجاءت وزارة علي ماهر يوم 27 يناير وذهب يوم أول مارس سنة 1952.
وهي وزارة ملكية وأعضاؤها معارف أو أصدقاء علي ماهر سياسي قديم وذكي، وقد عرف أنه لا يستطيع أن يفعل شيئا في مواجهة الأغلبية الوفدية. ولذلك سارع بترضية الوفد، تجنبنا لقوته، وبذلك يكتب لوزارته عمرا طويلا. ففي خطابه إلي الملك أشار إلي أنه سوف يمشي علي سياسة "سلفه العظيم". أما السلف العظيم فهو النحاس باشا. وإذا كانت لسلفة العظيم سياسة، فلماذا أقاله الملك؟ وإذا كان سيمشي علي سياسة فلماذا جاء؟.
وإنما علي ماهر قد بادر يمد يده إلي النحاس وعائقه وقبله.. واستجاب البرلمان إلي هذه المبادرة. ففي استطاعة علي ماهر أن يحل البرلمان.. وحتي لا يفعل ذلك بادر الوفد بمعانقة علي ماهر وحكومته. وكذلك البرلمان. وكان علي ماهر يعتقد لأنه سوف يبقى طويلا، ما دام قد كسب رضاء الأغلبية وحزب الأغلبية.
وحاول علي ماهر أن يلعب بالوفد، وحاول الوفد أن يلعب به.. ولم تطل هذه اللعبة..
ولم يسترح الملك غلي سياسة التوفيق بين رغباته وبين تربص الوفد بالوزارة وبالملك. فاروق ذكيا. ولكنه كان مستهترا لا يبالي بأحد أو بشئ.
وفي ذلك الوقت اتصل بي د. يوسف رشاد، وهو صديق للملك قد أعد قائمة بالذين سوف يغادرون مصر معه إلي الخارج. وقد وضع اسمي وفي ذلك الوقت كانت طائرة الملك تسافر إلي سويسرا تحمل المجوهرات والذهب، وكل الذي قرر الملك تهربه إلي الخارج!
إذن لقد أدرك الملك بوضوح، أن النهاية قد دنت. أنها كما قال تشرشل أثناء الحرب: بداية النهاية! وانه يلعب علي الوقت فقط. واتصلت بجمال عبد الناصر، ونقلت إليه ما قاله لي د. يوسف رشاد وهو صديقي. هنا اتخذنا قرارا جديدا. من أن تكون ثورتنا في نوفمبر 1955 قررنا أن تكون في نوفمبر 1952 وفي نوفمبر بالذات، لأنه الشهر الذي يكون فيه الملك قد عاد من الإسكندرية ومعه كل الوزراء، وتكون ضربتنا موجه إليهم وقد احتشدوا في مكان واحد! وكانت وزارة علي ماهر هذه قد ضمنت إليها واحد من رجال الملك هو أحمد مرتضي المراغي وزيرا للداخلية وقيل الكثير في استقالتة الوزارة. أو علي الأصح إقامة الوزارة. فلم يكن أحد يستقيل في ذلك الوقت، ويعينه الملك ويزيحه الملك.. لن هذه الوزارات قد ألقيت من فوق.. أو أسقطت علي الشعب من فوق.. فهي ساقطة من البداية!

ولكن السبب الحقيقي الذي ينساه الزعماء الأحياء الذي حدث هو أن علي ماهر طلب مقابلة السيد البريطاني سير رالف استفنسون في ذلك الوقت لكنه يبحث معه إلغاء المعاهدة.. ولكن السفير رفض المقابلة. وهذه أكبر ضربة من الممكن أن يتلقاها أي زعيم في مصر. وكان معناها أن رئيس الوزراء غير مرغوب فيه. ولذلك قدم علي ماهر استقالته فورا.

لأن الطريق إلي الملك لابد أن يمر بالسفارة البريطانية وليس العكس. ما دامت السفارة قد أقفلت بابها، إلي باب الرحمة الملكية قد أقفل فورا. وسقطت وزارة علي ماهر!

وكان علي ماهر يأمل أن يبقي طويلا، وكذلك الوفد والحكم ولا أعرف أين المؤرخون بعض الأحداث يخجل الإنسان من ذكرها للتدليل علي الهوان القوي بالملك الذي لحق الشعب المصري.

فعندما أبلغ البرلمان بميلاد فؤاد الثاني، كتب للملك الجلسة علي جلد الغزال بماء الذهب وأرسله للملك في عابدين ولا اعرف – حقا – ما الذي يمكن أن يقوله المؤرخون ويلعب عن مثل ويلعب عن مثل هذا القرار إلا أنه نفاق وامتهان الإنسانية. هوان الأغلبية الشعبية من أجل أن تبقي وقت مقاعدها!

وأغرب من ذلك وأعجب أيضا وزير الأوقاف حسين الجندي الإشراف محمد البيلاوي عندما أعلنا ذلك أن فاروق من نسل رسول الله صلي الله عليه وسلم. وأن والدته الملكة نازلي هي التي تنحدر من سلالة السيدة فاطمة الزهراء.

وقد جاء هذا القرار بعد أن أصدر الملك فاروق مرسوما بتجريد أمه التي استقرت في أمريكا من ألقابها ومخصصاتها الملكية.. وبعد الذي فعله فاروق في أوروبا – بعد هذا كله يصدر هذا القرار كنوع من العفو الشامل عنه.. أو كنوع من صكوك الغفران.. غفران خطايا الملك والملكة! ثم من الذي يصدر صكوك الغفران ؟.. وزير الأوقاف وكبير الأشراف. لماذا؟.. من أجل السلطة والحكم.

إنها أقسي وأقصي درجات الهوان! وجاءت وزارة أحمد نجيب الهلالي باشا، وفيها أحمد مرتضي المراغي رجل الملك وزيرا للداخلية والحربية والبحرية أي أن البوليس والجيش في يد الملك – أو أن الملك توهم ذلك!

وهذه الوزارة كالسابقة حاولت أن تجهل لها مبررا شرعيا. ولا شرعية إلا بالشعب. فكان لابد أن ترضي حزب الأغلبية، أو ترضي الشعب من وراء هذا الحزب.. أو تحاول أن تثير الشعب علي هذا الحزب. وكلها محاولات عتيقة لتشغيل الشعب بها، لعله يلتف حولها إذا أفلحت في تحقيق شئ يرضيه. وأعلنت ضرورة التطهير وتقويم الفساد العام – مع أن تشكيل هذه الوزارة هو قمة الفساد والإفساد. فهي كالحكومة السابقة، بلا جذور ولا سند دستوري!

وهي كالوزارة السابقة دليل جديد علي الملكية المطلقة.. وحكم الفرد! وكان الملك يتدخل في كل شئ. وكان يفصل في أخطر القضايا علي مائدة القمار. وهمس الذين حول الملك يقولون إن "النار تقترب من ثوب جلالته" أي أن التظهير الذي أعلنه الهلالي، سوف يقترب من الحاشية الفاسدة وأن حريق القاهرة سوف ينتقل إلي حريق في قصر عابدين ولكن الملك لم يهتم كثيرا. فلا مانع عنده من أن يلهو ويلعب.

ومن مظاهر اللهو عند الملك أنه قرر أن يكلف اثنين في وقت واحد بتشكيل الوزارة الجديدة. ومضي كل واحد منهما رجاله. وكانت نكتة مؤلمة. فقد كلف بهي الدين باشا، وحسين سري باشا بتشكيل الوزارة.. ثم استقر ورأي حاشيته علي اختيار حسن سري.

وجاءت وزارة حسين سري يوم 2 يوليو ومكثت 18 يوما. وكانت الوزارة هوانا جديدا لمصر، وأضيف إلي هذا الهوان عار جديد هو أن يكون من رجالها كريم ثابت صديق الملك. وله صفات أخري يعف قلمي عن ذكرها..

وفي عهد الملك حسين سري حدثت انتخابات مجلس إدارة نادي الضباط. وفازت قائمة الضباط الأحرار. وعين محمد نجيب رئيسا للنادي. أما قائمة الملك فقد فشلت تماما. وكان ذلك أكبر تحد للملك وصفعة له وللذين حوله.

وفي ذلك الوقت تناقشنا فيمن يرأس الضباط الأحرار. وكان علينا أن نختار بين عزيز علي المصري وفؤاد صادق ومحمد نجيب. أما عزيز المصري فهو أبونا الروحي، ولكن تقدمت به السن فهو أبونا الروحي، ولكن تقدمت به السن فهو غير قادر علي الكفاح والتحدي من جديد.. أما فؤاد صادق فلم يلق استحسانا من احد، ولكن محمد نجيب هو الذي فاز في النهاية. فقد كان عبد الحكيم عامر أركان حربه. وهذا هو الذي رجح اختيارنا له..

وكانت انتخابات النادي يوم 18 يوليو.. وفي 20 يوليو اتصل أحمد أبو الفتح، وهو صديق جمال عبد الناصر. ولم أكن قد عرفته – وكل ما أعرفه هو أنه رئيس لتحرير جريدة المصري. وقال أحمد أبو الفتح لجمال عبد الناصر: إن مرسوم تشكيل الوزارة الجديدة يعد الآن.. وإن حسين سري عامر سوف يجئ وزير للحربية.

وكان ذلك خبرا مفزعا. فهذا الضباط حسين سري عامر كان يعرف علي الأقل سبعة من الضباط الأحرار التسعة. وهذا معناه أنه إذا جاء وزيرا فسوف يقضي علينا تماما. وفي ذلك إعدام لنا جميعا. ولذلك تقرر قتل حسين سري عامر الرجل الذي قال للملك فاروق: اترك لي هؤلاء الضباط وأنا أقضي عليهم.

ولذلك ذهب جمال عبد الناصر وحسن إبراهيم وحسن التهامي وكمال رفعت إلي بيت حسين سري عامر. وتسلق حسن التهامي مواسير المياه، وأطلق الرصاص علي حسين سري عامر فلم يصيبه. وهربوا معا بسيارة جمال عبد الناصر. وجاء البوليس يقتفي أثرهم.. واهتدي إلي

أثار عجلات السيارة الصغيرة. ولكن جمال عبد الناصر غير هذه العجلات. فلم يعرف أحد من الذي كان يريد قتل حسين سري عامر..

وعندما قامت الثورة أدرك حسين سري عامر أنها نهايته. فحاول الهروب. وأمسكناه وهو في طريقة إلي ليبيا وحوكم. وصدر ضده حكم. ولكن جمال عبد الناصر، أكرمه، وصرف له معاشا شهريا.

ولكن في هذا اليوم قررنا أن يكون موعد قيام الثورة هو يوم 23 يوليو سنة 1925. وفي هذا الوقت وصلت إلي القاهرة الكتيبة 13 بقيادة صلاح نصر. وهي الكتيبة التي نعتمد عليها في حركتنا وتنفيذ المراحل النهائية للثورة.. واستبدل الملك بحسين سري عامر، إسماعيل شيرين زوج أخته الأميرة فوزية.. ولم يكن ضابطا في الجيش، واعتبر الجيش أن تعيينه إهانة أخري.. ثم صدر مرسوم تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة أحمد نجيب الهلالي في 22 يوليو.. ولم تبق هذه الوزارة سوي ساعات..

وعلي المؤرخين أن يشغلوا أنفسهم بالأسباب التي أدت إلي اختيار أحمد نجيب الهلالي مرة أخري للوزارة.. وأسهل وأصدق التفسيرات هو أن الملك قد استخف بكل شئ وبكل الناس.. وأن أحدا لم يعد يهمه لانه يجد أحدا يقف في وجهه. وإنما الكل في انتظار رضائه السامي... لقد كان الدافع العام عند الزعماء ورؤساء الوزارات شخصيا بحتا. وكانت وزارات المائتي يوم هذه، صورة صارخة للاستهتار من جانب الملك، والهوان من جانب رؤساء الوزارات والوزراء.. وليس مرتضي المراغي إلا نموذجا لذلك. فهذا الرجل لا نكن له أي احترام من الناحية الوطنية. لقد كان أبوه رجلا وطنيا. فعندما كان أبوه شيخا للأزهر أعلن في بداية الأربعينات وأثناء الحرب العالمية الثانية: أن هذه الحرب ليست لمصر فيها ناقة ولا جمل – أي ما شأننا وما شان حرب بين الانجليز والألمان. إنهم يحاربون لأسباب خاصة بهم، فلماذا ندفع نحن الثمن؟! وكان هذا الرأي كافيا للإطاحة به. أما ابنه احمد مرتضي المراغي، فلم يكن وطنيا بأي معني. فقد خرج من مصر وعاش يهاجمها. وحوكم غيابيا. وحكم عليه بالإعدام. وتجريده من الجنسية المصرية. ولقيت خطابا من والدة أحمد مرتضي المراغي ويجلس مع والدته. وتسقط عنه كل الأحكام. وتعود إليه جنسيته المصرية، لأي سبب. أما أن يسجن الإنسان أو حتى يعدم، فهذا يحدث ولكن أن نحرمه من مصريته مهما كانت غلطته، فهذا ليس من حقي، ويجب ألا يكون من حق أحد..

إنني اعترف بريفيتي، وبأن القرية والأرض هما بشرتي ودمي.. وانتمائي إلي الريف وإلي ميت أبو الكوم بالذات، يعطيني سعادة مطلقة.. وقد عادت غلي مرتضي المراغي جنسيته، رغم أنني لم أصدر قرارا بذلك حتى الآن. وعلي الرغم من أن مرتضي المراغي قد أخطأ كثيرا في حق مصر وشعبها، فإن الذي لمسه خارج مصر من الهوان بعد الثورة عذاب ما

بعده عذاب.. ولكن أن يعود إلي مصر، لا لشخصه، وإنما من أجل سيدة مريضة، عقاب آخر.. ولابد أن يعود المؤرخون إلي حكومات المائتي يوم هذه، ويدرسوها ويحللوها. وسوف يجدون فيها الصورة المضادة تماما للثورة المصرية وكل أحلامها وآمالها.. صحيح أن هذه الوزارات بتواليها الهزلي المهين هي السبب. وأنها كانت أحد الأعراض الفاضحة لفساد الحكم، وقد أحبطه الشعب بوعيه ورفضه..

وكانت ثورتنا علي كل أشكال وألوان الفساد والعمالة والخيانة.. ويكفي أن يعود الإنسان إلي فرحة الشعب بقيام الثورة ونهضة الروح وحيوية الأقلام في ذلك الوقت.. ليتأكد لدينا جميعا: أن الشعب لم يمت، وأن الأمل لم ينطفئ. وأن مصر العريقة ليست عقيما. ولم تكن مصر كذلك في يوم من الأيام.. وإنما أصابها ما أصاب كل الشعوب من نوبات الضيق، وأزمات اليأس وكل ذلك مضي، ولابد أن يمضي، ليعود في صورة أخري، وينهض أبناؤها، وهم شباب لأن مصر العريقة العظيمة شابة، إلي الأبد.. وقد نهضت مصر بأبنائها لتقويم الذي أعوج في سلوك حكامها ولبناء ما هدموا، ولتجعل القيم الأخلاقية والمبادئ ومصر نفسها فوق الجميع. ونحن الشباب، لم نعرف اليأس، رغم قسوة الحياة والظروف العاتية، والعقبات المدمرة.. وإنما إيمانا بالله وبأنفسنا وشعبنا، هو الذي جمع بيننا في وجه كل السلطات، المصرية والأجنبية حتى كان لنا النصر بإذن الله ومن أجل مصر..

ابتداء من العدد القادم

تنتقل أوراق الرئيس السادات مرة أخري إلي جوانب غريبة وعجيبة من حياته. ففي بداية هذه الأوراق التي استغرق نشرها عاما، اتجه الرئيس السادات إلي العلاقات المصرية السوفيتية.. وحاول أن يذيب الجليد بين القاهرة وموسكو.. ولكن ذات بعض الجليد، ثم عاد يتراكم سدا منيعا بين كل محاولات الفهم والتفاهم..

وانتقلت "الأوراق" بعد ذلك إلي التعرض للعلاقات المصرية الليبية. وفي جميع الأحوال كان الرئيس السادات يريد الحقيقة، حتى لا تضل العيون بين أنواع شاذة من المذكرات السياسية الحديثة والقديمة امتلأت بها الصحف والمجلات العربية والمكتبات ونشرها "الصيادون في المياه العكرة" واتجه بها إلي المستقبل، أي إلي الأجيال الجديدة التي هي مستقبل مصر والعالم العربي..

وعدنا نقلب في "أوراق" الرئيس السادات، عندما طفا علي سطح الأحداث الصغيرة زواج الأمير فؤاد.. وهو أتعس إنسان ولد في أتعس ظروف فكان شؤما علي نفسه وعلي أهله. وقد حمله أبوه فاروق هدية إلي مصر يوم احتراق القاهرة ومعها الكثير من فساد الحكم وأعلام السياسة المصرية.. ثم نعود إلي "أوراق" الرئيس السادات فنجد صفحات إنسانية أعمق وتأملات فلسفية. فقد استعرض المفارقات والغرائب والمتناقضات في حياته.. ورواها بمنتهي

الصدق. ثم إنه لا يخجل من انه كان فلاحا فقيرا – أو "دون الفقر بمراحل عديدة".. ويقول: "إذا كان الفقر هو خط الصفر في حياة أي إنسان، فقد كنت تحت الصفر بدرجات. ولا ألوم أحدا. ولا أحقد علي أحد. فقد أكرمني ربي. وأعطاني. والحمد لله".

وعلي طريقة الرئيس السادات في إحياء الماضي والنظر إليه، فإنه فأنه يتمتع بذاكرة غير عادية، وقدرة مذهلة علي الملاحظة.. ويكفي أن يمر بعينيه علي الأشياء، فإذا الأشياء لها صوت وضوء ورائحة، تماما كما يمر العازف علي أصابع البيانو. ويروي كيف كان يمر علي الكوبري القريب من قصر الطاهرة من خمسين عاما، طفلا صغيرا مجهولا، تبهر عينيه زجاجات الكازوزة الفارغة، ولها غطيان من معدن مبطن بالفلين. وكيف يملأ جيوبه بها – دون أن يعرف لها فائدة. ولكنها أشياء بهرته.. ثم كيف إنه في يوم 5 أكتوبر 1973، وهو رئيس مصر وقائدها الأعلي، يمر علي نفس الكوبري ليصلي الجمعة في نفس المسجد الذي وكيف يتوقف عند ذلك المقهى الذي كان إلي جوار سجن طرة. أما السجن فقد هدمه السادات ومعه المعتقلات إلي الأبد.. فقد كان هذا المقهى أعز أحلامه وهو في السجن. كان يمني النفس "بأن يجئ ذلك اليوم. الذي أجلس فيه. وأضع ساقا علي ساق. وأنظر إلي بعيد فلا جدران ولا أبواب تعترض عيني. وأصفق. وأطلب كوبا من الشاي..".

تم ذلك الذي حدث في سنة 1946 عندما وقف وحبل المشنقة حول عنقه مهما باغتيال أمين عثمان. وأمام وكبل نيابة يلف الحبل خول عنق السادات بإحكام شديد.. لأري عجبا. المتهم أصبح قاضي الثورة ووكيل النيابة أصبح أحد المتهمين. إنها حكمة الله."

ويقول الرئيس السادات: "إن الله الذي يفتح الطريق أمامنا، يضع الغاية في نهايته.. وإنه لا يخلق طفلا إلا وقد أعد له مستقبله.. إننا مثل حمام الزاجل خلقنا الله وأطلقنا في كل سماء، ووضع في عنق كل منا خريطة حياته وموته أيضا"..

ويقول: "إنني أتذكر كثيرا ولا أمل في عمل في سنة 1950، يصبح رئيسا لمصر بعد عشرين عاما ؟ لا أحد. ولا أكثر الناس قدرة علي الرجم بالغيب.. ولكنها إرادة الله. ولذلك لا معني لليأس، ما دمنا أحياء. فما دامت أحياء. فما دامت هناك حياة فهناك أمل في حياة أفضل. صدقوني"

ويقول الرئيس:" إنني أتذكر كثيرا ولا أمل تكرار هذه الصورة: من الذي كان يتصور أن شابا مفلسا بلا عمل، ولا أمل في عمل في سنة 1950، يصبح رئيسا لمصر بعد عشرين عاما ؟ لا أحد. ولا أكثر الناس قدرة علي الرجم. فما دامت هناك حياة فهناك أمل في حياة أفضل. صدقوني"

ويقول الرئيس السادات وهو يسهل كتابة هذا الجانب من "أوراقة": "عندما يجلس الإنسان إلي نفسه فهو أمام ثلاثة أشخاص:

أنت كما تري نفسك.

وأنت كما يراك الناس.

وأنت كما تحب أن يراك الناس".

ويقول أيضا: "وكما أن الفنان يستخدم عددا من الألوان في رسم لوحاته، فكذلك الكاتب عندما يروي حياته. فهو يغمس قلمه في ألمه.. ثم يغمس قلمه في ألمه.. والذكريات ليست إلا مزيجا من الألم والأمل.. إنها عصير الدمع والدم والعرق.. الضياء والظلال.. والخوف والجرأة.. والتصميم وإرادة الله"..

وسقول الرئيس السادات: "إن أكثر العيون لمعانا، أكثرهم امتلاء بالدموع..بدموع الحزن أو دموع الفرح".